



أغاني الوارث المتلاف

زكريا محمد

موت في رام الله

الليلة

عاريا أقف قدام المرأة

في ضوء البدر الذي يحبو على عتبة بيتي

الليلة تطلق عليّ النار

من المرأة

أو من بندقية في مستوطنة (بسغوت)

التي تطل على سريري

وسوف أموت

سوف أموت

زكريا محمد، شاعر من فلسطين / رام الله

ويظل الضوء يحبو ويحبو
لكي يرضع من ثديي .

٢٠٠٤

قطط

أشعلنا النار
كي تخرج منا ظلالنا
فنقول لأنفسنا واثقين :
نحن هنا . . . نحن هنا

غير أن النعاس يفجؤنا
فتنطفئ نارنا

يا ويلنا
يا ويلنا
النار تخلقنا
والعتمة تلغينا
والقطة تبول على نارنا
وتخالطنا بظلالنا .

٢٠٠٤

تخميم

بتنا على الهضبة
ولم يكن من داع لأي سراج

لو أضأنا عودا
لا تفجر الدم
الضوء دم نازف
والليل رقاء كل دم مهذور

على الهضبة
لا تفتح فمك لتقول: يا أخي
لست أخاك
أنا أذن مفتوحة لجندب الليل
أنا موجة من حرير تطفئ بيد ناعمة:
الضوء والعين والنجمة .

٢٠٠٤

صلبان

صليب عجيب في خريشات طفل
صليب ذهبي على صدر الصبية
صليب كبير فوق الكنيسة

الدم ينزف منها كلها

أنا العابد
أنا من يتبع الصلبان
الدم يقطر في نومي ويقظتي .

بَدَّ

بيتك هو البد
لا أحد سيطحن لك قمحك
وحدك ستدير مثل حمار حجر الطاحون
حيث ستأكل شعيرك واقفا
وتنام واقفا .

١٩٩٩

مخاط

ارحموا الموتى
دعوهم لحالهم
هم لو تدرون لا يرغبون في قرابين لأرواحهم
فليست لهم أرواح
ولا يريدون كلمات على شواهد قبورهم
فهم لا يقرأون
ما يعذبهم أنهم غارقون
في عار يدعى الموت
إنه يسيل منهم
كما يسيل المخاط من أنوف الصغار

إن كنتم تريدون عونهم حقا
اتركوا لهم لفة من ورق المراحيض وراء الباب
سوف يأتون لأخذها
كي يمسخوا العار الذي يقطر من جباههم ومناخرهم.

٢٠٠٤

صرخة

جمعنا الصوت من كل مكان:

من قحف رؤوسنا

من يأسنا

ومن حاويات القمامة

ثم أطلقنا صرختنا

آه

ما ألعنها صرخة!

تبعناها كأننا نتبع أنداء أمهاتنا

انحدرنا وراءها في الوديان

والأرض المجهولة

آه

ما ألعنها

ولدت بغم بكاء

وقماط محلول
تلقفناها باسمين مرتحفين
ثم سميناها
لكي تحرقنا
ويصعد الدخان إلى السماء .

صقر

بعدسته الذهبية
يصيد الصقر
الطريدة وظلها معا

اليوم
بشفقة مفاجئة ليست من طبعه
ترك للظل بأقدامه العاريات
أن يعبر خائفًا
على الرمل الساخن
حتى عتمة الجحر .

٢٠٠٣

شهوة

- لم تتسع حدقتنا السنور في الليل؟!
- كي يلعق بلسان خشن

موتى

عندما ذهبوا إلى الموت لم يجدوه!
كانت معهم صررهم
وبلورات من سكر فضي

ذهبوا
فلم يجدوا شيئاً
دهشوا!
أهذا هو الموت حقاً؟!

وضعوا صررهم على الأرض
وانظروا
لكن لا أحد أشار إليهم كي يتبعوه
لا أحد مرّ لكي يأخذ أسماءهم

رأوا أن في الأمر خدعة ما
كان هذا أكيدا

لكنهم حين قرروا أن يعودوا
كان الليل قد محا الطريق

هم الآن يمضغون بلورات السكر الفضيّ
ويدربون حناجرهم على الصرخات
التي لن يسمعها أحد
بانتظار أن يرفع الليل ستوره
التي لن ترفع أبدا .

٢٠٠٠

قتلى

النوم
مدينة الغرباء
يسكرون في حاناتها
ويعربدون في أزقتها
ثم يقتلون بالرصاص قبيل الفجر .

٢٠٠٤

أهلة

نقص بالقراضة أظافرنا كالأهلة
والبدر فوقنا
يتأكله غضبه
نحن لا نراه
غير أننا نلمحه في عيون القطط
التي تغفو مخادعة عند أقدامنا
كي تخفي عنا عين البدر الحانقة الحمراء .

٢٠٠٤

ألوان

الأشجار لا ترانا
فهى مصابة بعمى الألوان
الخضرة لونها الوحيد
بَكِّمُ أخضر كلامها

أما نحن فالألوان كلها ملكنا
طيننا واسع يبدأ ب:
بالعتمة الثقيلة
ثم الدم
ثم النار الإغريقية الحراقية .

٢٠٠٤

أعناب

على الرصيف أمام البيت جلسنا :
كؤوسنا فارغة
والصمت يلفنا
الحياة هياكل عناقيد عنب مأكولة
تحت أقدامنا

العصافير على الأسلاك
تأمل أن نكون قتلى

فهبي تنتظر موتنا
كي تبحث عن حبة عنب هاربة تحت أقدامنا

ثم فجأة
يضرب البرق
وتسقط قطرات
ويعصف المطر
فجأة
تتأتى الكلمات
وتطفو خيالات عناقيد جديدة
فتمتلئ الكأس
والحياة
تطرد بيدها العصافير عن الأسلاك .

٢٠٠٤

طيور محبوسة

أرواحنا طيور محبوسة في دواخلنا
حين يمر طائر شريد فوقنا
تسمع صوته ورقة جناحه
فتخفق بأجنحتها
وترف رفات خطرة
فتكاد قلوبنا تفلت من معاليقها

لا بد من قتلها هذه الطيور الشريفة

إنها أسوا من الكلاب الضالة
إنها كالجراد تهدد بأن تقضم الورقات الخضراء الأخيرة على شجرة حياتنا .

٢٠٠٤

صقر

على الغصن
كاهن بجبة ترابية
عينه ثقب أسود يبتلع الكون كله
كل حركة تغرق في دوامته

على الغصن
كاهن يدير عينه الذهبية
ثم ينفض جيبه الترابية
ويلقي على الأرض بظله
ثم تسمع الصرخات القصار

على الغصن
كاهن يتنبأ بالموت .

٢٠٠٤

كلماتنا

كلماتنا حبل نجاتنا
كلما أذعرنا الموت
بصقنا بها
وألصقناها في السقف
ونزلنا معلقين بها
تماما كما تفعل العناكب الصغار:
تدلّي حبلًا رفيعًا
وتنزل معلقة من أفواهها . . .

٢٠٠٤

شجرة

في الوعر
شجرة تفكر بالمطر
أنا أيضا وقفت في الوعر مثلها مرة
وفكرت ببرق تشرين ورعده

كان هذا

قبل

أن

يمحي المعنى

وتضيق الحروف

الآن،

قبعتي على رأسي

مطرتي على جنبي

أمر عنها وأقول لنفسي:

شجرة حمقاء أخرى تفكر بالمطر.

٢٠٠٤

عاهرة

أفكر أحيانا أن أطلق النار على هذا الكلب

عنده ما هو أشد خطرا من الكلب: عيناه

أبعدوا عني

أبعدوا عينيه اللتين تملأهما المودة كحشيش أخضر في الجبال

أبعدوا عني هذا الوحش

إن قلبه لأرق من قلب عاهرة.

٢٠٠٤

الحقيقة

الحقيقة عربية خضار

يدفعها بانع جوال

في طريق صاعد صعب
كلما صعد مترا
وضع تحت العجلة حجرا
كي لا تتدهور في المنحدر

الحقيقة

غرسه تسقى كل يوم
أما الكذب فنبتة شوك
تشرب
من كل ماء حولها .

٢٠٠٤

أغاني الوارث المتلاف

١

أورثني أبي مالا وعقارا
غير أنني أتلفته كله

لم أقامر
لم أعش رفها
ولم أتبع ملذات جسدي

في الأشياء الصغيرة بددت ميراثي

في الأشياء الصغيرة

بيتي مملوء بها:
حمار بديع من زيتون القدس
غزال صيني منحوت من حبة أرز
حجر يضيء في الليل من خراسان
وصحن من فخار
عليه حية تبتلع ذيلها

٢

أعمل اليوم عند إسكاف
أتكسب من خرز الأحدية
وحين يمتلئ بطني
وأشرب كأس نبيذ
أعود إلى بيتي
وأأمل
بين الضوء والعتمة
حماري الخشبي البديع
والحية التي تبتلع ذاتها

٣

لا أحد يهتم بما أملك
أنا لا أعرضه على أحد

غير أنني جعلت على الجدران مرايا

لكي أكثر أشيائي

وأضاعفها :

الحمار البديع يصير قطيعا من حمر الزيتون

وأنا أصير عشرين رجلا

همهم أن يبددوا ثرواتهم على الأشياء التي لا تسمن

ولا تغني من جوع

٤

الصنعة تنحدر

من يقادرون الأشياء الصغيرة باتوا في القبور

لا أحد

كي يضرب رأسه بالحائط من مهارة الصانع

لا أحد

كي يقطع إصبعه لأنها لا تقدر على نحت بديع من خشب اللوز

ساعتي تقترب

بعدي سيكون العالم خاويا

لن يكون أحد قادرا على فهم الحية التي تلع ذيلها

اليوم الذي سأحرق فيه أشيائي

يقترب هو الآخر . . .